القدرية والجبرية

القدريَّة: هم الذين ينفُون قدر الله تعالى، ويقولون: إن الله تعالى لم يخلق أفعال العباد، ويجعلون العبد خالقَ فِعل نفسه، ويقولون: إن الله تعالى لا يعلم الشيء إلا بعد وقوعه .

نشأة القدريَّة:

ظهرت القدريَّة في البصرة في آخر عصر الصحابة بعد عصر الخلفاء الراشدين، وتبرأ منهم المتأخرون وجابر بن عبدالله وأبي هريرة وابن عباس وأنس بن مالك وعبدالله بن أبي كعبدالله بن عمر من الصحابة؛ أوفى وعقبة بن عامر الجهني، وأقرانهم، وأوصَوا مَن بعدهم بألا يسلِّموا على القدريَّة، ولا يصلُّوا على جنائزهم، ولا يعودوا مرضاهم،وأول مَن أظهر بدعة القدر رجلٌ من أهل البصرة بالعراق، يقال له: سنسويه (أو سوسن) بن يونس الأسواري، كان نصرانيًّا فأسلم ثم تنصَّر، فأخذ عنه معبد الجهني، الذي أظهر القول بالقدر، وعنه أخذ غيلان بن مسلمٍ الدمشقي، أما معبد الجهني فقد قتله الحَجَّاج بن يوسف الثقفي سنة ٨٠هـ، وأما غيلان الدمشقي فقد قتله هشام بن عبدالملك بدمشق .

روى مسلم عن يحيى بن يعمر، قال: كان أولَ مَن قال في القدر بالبصرة معبدٌ الجهني، فانطلقتُ أنا وحميد بن عبدالرحمن الحميري حاجَّين – أو معتمرين – فقلنا: لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوُفِّق لنا عبدالله بن عمر بن الخطاب داخلًا المسجد، فاكتنفته (يعني صرنا في ناحيتيه) أنا وصاحبي، أحدنا عن يمينه، والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكِل الكلام إليَّ، فقلت: أبا عبدالرحمن، إنه قد ظهر قِبلنا ناس يقرؤون القرآن، ويتقفَّرون (يطلبون) العلم، وذكر من شأنهم، وأنهم يزعمون أنْ لا قدر، وأن الأمر أُنُف، قال: (فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برآء مني)، والذي يحلف به عبدالله بن عمر (لو أن لأحدهم مثلَ أُحدٍ ذهبًا، فأنفقه، ما قبِل الله منه حتى يؤمن بالقدر) .

قال النووي : قوله: (أول من قال في القدر) فمعناه: أول من قال بنفي القدر فابتدع وخالف الصواب الذي عليه أهل الحق، ويقال: القدَر والقدْر بفتح الدال وإسكانها، لغتان مشهورتان، وحكاهما ابن قتيبة عن الكسائي، وقالهما غيره، واعلم أن مذهب أهل الحق إثبات القدر، ومعناه أن الله تبارك وتعالى قدر الأشياء في القدم، وعلِم سبحانه أنها ستقع في أوقاتٍ معلومةٍ عنده سبحانه وتعالى وعلى صفاتٍ مخصوصةٍ، فهي تقع على حسب ما قدرها سبحانه وتعالى، وأنكرت القدريَّة هذا وزعمت أنه سبحانه وتعالى لم يقدرها ولم يتقدم علمه سبحانه وتعالى بها، وأنها مستأنَفة العلم؛ أي: إنما يعلمها سبحانه بعد وقوعها، وكذَبوا على الله سبحانه وتعالى وجل عن أقوالهم الباطلة علوًّا كبيرًا، وسميت هذه الفرقة قدريةً لإنكارهم القدر .

وقال النووي : قوله: (وأن الأمر أُنف)؛ أي: مستأنَف، لم يسبق به قدر ولا علم من الله تعالى، وإنما يعلمه بعد وقوعه، كما قدمنا حكايته عن مذهبهم الباطل، وهذا القول قول غلاتهم، وليس قول جميع القدريَّة .

نبيُّنا صلى الله عليه وآله وسلم يحذرنا من القدريَّة:

روى أبو داود عن عبدالله بن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((القدريَّة مجوس هذه الأمة، إن مرِضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم))؛ (حديث حسن) (صحيح أبي داود للألباني حديث: ٣٩٢٥).

أقوال سلفنا الصالح في ذم القدريَّة:

روى أحمد عن يحيى بن سعيدٍ: أن أبا الزبير أخبره أنه كان يطوف مع طاوسٍ بالبيت، فمر بمعبدٍ (1) الجهني، فقال قائل لطاوسٍ: هذا معبد الجهني الذي يقول في القدر، فعدل إليه طاوس حتى وقف عليه، فقال: أنت المفتري على الله عز وجل القائل ما لا تعلم؟ قال معبد: يكذب عليَّ، قال أبو الزبير: فعدلت مع طاوسٍ حتى دخلنا على ابن عباس، فقال له طاوس: يا بن عباسٍ، الذين يقولون في القدر؟ فقال ابن عباسٍ: "أروني بعضهم"، قال: قلنا: صانع ماذا؟ قال: "إذن أجعل يدي في رأسه ثم أدق عنقه" .

روى مالك عن عمه أبي سهيل بن مالكٍ، أنه قال: كنت أسير مع عمر بن عبدالعزيز فقال: ما رأيك (2) في هؤلاء القدريَّة؟ فقلت: (رأيي أن تستتيبهم، فإن تابوا، وإلا عرضتَهم على السيف)، فقال عمر بن عبدالعزيز: (وذلك رأيي)، قال مالك: (وذلك رأيي) .

عدد فِرق القدريَّة:

افترقت القدريَّة إلى عشرين فرقة، وهذه أسماؤها: الواصلية، والعمرية، والهذلية، والنظامية، والمردارية، والمعمرية، والثمامية، والجاحظية، والخياطية، والشحامية، وأصحاب صالح قبة، والمريسية، والكعبية، والجبائية، والبهشيمية المنسوبة إلى أبي هاشم بن الجبائي .

الجَبريَّة:

نشأة الجَبريَّة:

الجَبريَّة: هم أتباع الجهم بن صفوان، الذي قتله سلم بن أحوز أمير خراسان سنة ١٢٨هـ .

سبب التسمية:

سُمِّي الجَبريَّة بذلك لأنهم يقولون: إن العبد مُجبَر على أفعاله، ولا اختيار له، وأن الفاعل الحقيقي هو الله تعالى، وأن الله سبحانه أجبر العباد على الإيمان أو الكفر .

معنى الجبر:

الجبر: هو إجبار الناس وإرغامهم على فعل شيءٍ من غير إرادةٍ أو مشيئة لهم، ويرى الجَبريَّة أن الناس لا اختيار لهم في أفعالهم، ولا قدرة لهم على أن يغيّروا مما هم فيه شيئًا، وإنما الأفعال لله سبحانه؛ فهو الذي يفعل بهم ما يفعلونه، وجعلوا هذا مطلقًا في جميع أفعالهم، فإذا آمن العبد أو كفر فإن الإيمان أو الكفر الذي وقع منه، والطاعة أو المعصية، ليست فِعلَه إلا على سبيل المجاز، وإنما الفاعل الحقيقي هو الله سبحانه؛ لأن العبد لا يستطيع أن يغير شيئًا من ذلك.

ويقول الجَبريَّة أيضًا: إن العبد مسيَّر، لا خيار له أبدًا؛ فهو كالريشة في مهَبِّ الريح، وعلى هذا فإنه يكفيه في مسألة الحساب والجزاء أن يؤمن بالله تعالى بقلبه فقط، مهما فعل من الكفر والمعاصي حتى الشرك، تعالى الله عما يقولون! فمن أشرك بالله عندهم ما دام عارفًا بالله فهو مؤمن! فهؤلاء هم الجَبريَّة الغلاة؛ لأنهم يرون أنه ما دام الفعل كله لله تعالى، فلا حساب على العباد إلا بما يتعلق بالمعرفة في القلب، فمن عرَف الله سبحانه نجا، ومن أنكر الله هلك،ومذهب الجَبريَّة مِن أخبث المذاهب وأبطلِها؛ لأنه يجعل الله تعالى ظالمًا لعباده،تعالى الله عما يقول غلاة الجَبريَّة علوًّا كبيرًا.

قال ابن حزم : اختلَف الناس في ماهية الإيمان، فذهب قوم إلى أن الإيمان إنما هو معرفة الله تعالى بالقلب فقط، وإنْ أظهَرَ اليهودية والنصرانية وسائر أنواع الكفر بلسانه وعبادته، فإذا عرَف الله تعالى بقلبه فهو مسلم من أهل الجنة، وهذا قول الجهم بن صفوان .